



الباب الثاني المنتجات الفنية



الخرزف

أوضح الكتابات ما كتب على الطين، وأروعها ما أنتج من الطين، ولقد عرف المؤرخون كيف يستخرجون من مادة الأرض عملاً فنياً محكم الصنع عالي الإبداع. مادة ميسورة لينة، تدور على دولاب خزاف محترف، فتطاوعه وتحاوره، ويتجسد الشكل بين الأصبع والماء. تلك هي صناعة الخزف الذي نبأت إنجازاته مكانة عالية في عالم الفنون عبر مراحل تاريخ المسلمين: فقد عثر المنقبون على نماذج رائعة من التحف الخزفية.

الخزف:

والمعلومات المتوافرة لدى الباحثين عن الخزف الإسلامي في العصر الإسلامي الأول والعصر الأموي قليلة جداً، أما الخزف العباسي فمنه فخار غير مطلي أو ذو طلاء من لون واحد وزخارف بارزة، وأهم ما صنع منه في ذلك العصر مجموعة من الفخار بغير طلاء أو بطلاء أزرق أو أخضر، وزخارفها بارزة ومطبوعة قوامها أشرطة من حبيبات وفروع وأوراق نباتية، ومنها صحون وأكواب صغيرة من عجينة طينية ناعمة وزخارفها بارزة بطلاء أخضر أو أصفر، وقوام تلك الزخارف أشكال هندسية مختلفة وفروع نباتية ووريقات محورة عن الطبيعة، وقد نجد بينها ما هو مرسوم عليه بعض الطيور، وقد وجدت قطع من هذا الخزف في حفائر سامراء والمدائن والفسطاط.

يتميز الخزف العباسي ببيرقه المعدني فقد وجد البديع منه في سامراء، إذ أن ما وجد منه في أطلال هذه المدينة يفوق في الجمال والبريق كل ما عرفه العالم الإسلامي من هذا الخزف الذي تميّز بطلائه اللّماع والأخاذ ذي اللون الواحد أو متعدد الألوان فوق طلاء قصديري اللون، بزخارف متعددة الأشكال ويغلب عليها اللون الذهبي، والأخضر الزيتوني والبني، وقوام تلك الزخارف أيضاً فروع نباتية محورة عن الطبيعة وأشكال مخروطية ومراوح نخيلية ذات فصوص، ورسوم مجنحة ودوائر بيضاء. وقد استعمل الخزف في تأطير محاريب المساجد، كما استعملت بلاطات على جدران بعض القصور.

تميّز خزف العراق برسوم طيور وحيوانات ونقوش آدمية، وهو أقدم ما عُثر عليه من نماذج خزفية، وعناصر كتابية، أما الصور الآدمية في التحف الخزفية فقد وصلنا القليل منها وكانت ذات تعبير قوي، لكنها بسيطة وساذجة.

يذكر المؤرخ اليعقوبي في كتابه (معجم البلدان) أن الخليفة المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين وابن هارون الرشيد عندما شرع ببناء عاصمته الجديدة سامراء (٨٣٦م) استدعى خزافين من البصرة لينضموا إلى مجموعة الصناع المهرة في العاصمة الجديدة.

وقد عثر في مصر في الفسطاط وأماكن من الصعيد على قطع من الخزف ذي البريق المعدني المتعددة الألوان وكذلك على قطع من الخزف ذي اللون المعدني الواحد، ذكر ذلك ابن خلدون الذي رجّح أن يكون صناع هذا الخزف قد قدموا من البصرة، وما يدل على أن مصر هي أحد المواطن الأصيلة لهذا الفن.

فمن الطين، ومع الطين، صار الخزف الإسلامي مضرب المثل في الروعة والجمال، إذ تفوق الخزافون المسلمون في هذا الفن على غيرهم من خزافي العصور السابقة، وصار الخزف الإسلامي منبعاً لإلهام واستلهام الفنانين خلال العصور، وتأثر بمنتجاتهم الخزافون الصينيون صناع تحف البورسلين، كما تأثر بهم خزافون من بيزنطة ثم الخزافون الأوروبيون صناع أواني الخزف المسماة Majolica .

الخزف ذي البريق المعدني والملون أو ذي الطلاء النحاسي على أرضية زبدية اللون يدل على قدرة الفنان العربي في معرفة الكيمياء وخلط الألوان وصهرها، واستعمال الطلاءات الزجاجية الشفافة أو القصديرية أو أحادية اللون التي وجدناها في الشام وبعض مدن الشرق.

تميّز خزف العراق ومصر برسوم الطواويس، والغزلان، والحيوانات الخرافية كالطائر ذي الوجه الآدمي، ونماذج أخرى وعناصر أدخلت عليها الكتابات كآيات قرآنية، وكتابات بالثلث والكوفي.

وحيث كانت الزخارف تحفر بشكل دقيق تحت الدهان وتستعمل الألوان الأصفر والبني والذهبي والأخضر واللوزي والباذنجاني، ولكننا نجد الألوان مفصولة بعضها عن بعض كأنها الفسيفساء كما يبدو ذلك في المثلثات الصغيرة التي تزين حوافي الأواني، وتؤلف زخرفة مستننة.

من أنواع الخزف السلجوقي خزف مصنوع من عجينة طينية نقية جداً عليها دهان أبيض أو أزرق فيروزي ترسم فوّه الزخارف بالألوان المختلفة من أزرق وأسود وأحمر وبنيّ.

وهكذا تبوأَت إنجازات الخزاف المسلم مكانة عالية في عالم الخزف، فكانت حصيلة إبداعه الفني وتجديده التقني في غضون ألف سنة، مجموعة من أبداع الأواني الإسلامية التي تقف على قدم المساواة مع أروع النماذج الخزفية في العالم، أو تتفوق عليها، إذ تمكن، بفضل ما تتمتع به من حس مرهف تجاه الألوان والأشكال الزخرفية، وما لديه من طموح إلى الإبداع في المجال التقني، من التوصل إلى أساليب صناعية جديدة برع بها وأتقنها بدرجة عالية بدليل أنها تركت بصماتها على صناعة الخزف في العالم كله.

المعادن

في أرض العرب الشاسعة، حيث الرمال والشمس،
يلتصع بريق خفي، وتبرق ذرات من أشعة حمراء
وصفراء، كأنها نجوم قد هوت على الكثبان، تلك هي
ذرات المعادن التي احتوتها تلك الطبيعة الصامتة.

كان لصنع الأدوات المعدنية أثره البالغ في الحضارة الإنسانية باعتباره أحد العوامل الرئيسية التي عملت على تسارع خطى التقدم التقني في المجتمع الإنساني، وكان التوصل إلى استخراج معادن جديدة كالبرونز، عن طريق مزج معدنين بسيطين أو أكثر كالنحاس الأحمر مع القصدير أو الزنك هو خطوة في ميدان علم المعادن وصناعتها عند العرب.

ولقد سار الصناع المسلمون أول الأمر على الأساليب الصناعية التقليدية السابقة للإسلام، كالصب في القالب والتشكيل بطرقٍ صفيحة واحدة. ومن المعروف أن صناعة الأعمال المعدنية قد استلهمت خلال العصور الإسلامية المبكرة من بعض التقاليد الصناعية والزخرفية المحلية التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة، شأنها في ذلك شأن الفنون الأخرى.

وخلال الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والسابع للهجرة انتعشت الفنون الإسلامية عامة، الأمر الذي انعكس بدوره على المشغولات المعدنية التي وصلت إلى مستوى رفيع من حيث استخدام مختلف الموضوعات الزخرفية والأساليب التقنية التي تتجلى بوضوح في الإنتاج الصناعي للفنانين طوال الفترات اللاحقة.

من أشهر المنتجات المعدنية الأباريق ذوات الأشكال المختلفة، ولها في أكثر الأحيان مقبض طويل وصنبور ممتد وقد تزين برسوم حيوانية أو آدمية في مناطق محدودة، ولكن الغالب فيها قبل الإسلام بساطة الزخرفة.

وأجمل الأباريق تلك المحفورة على أبدانها أشكال شتى والمطعمة بالعقود والوريدات الزخرفية ورسوم طيور وحيوانات وأشجار.

ومن نفائس التحف المعدنية ما كان يطعم منها بالأحجار النفيسة أو المينا، حتى ليرجح أنها كانت مغطاة بمواد زجاجية أو أحجار كريمة.

من التحف المعدنية ما يصنع على هيئة الطير، أو البط أو الحمام أو الديكة أو الغزال أو الحصان، ومنها ما كان يعمل مباخر أو آنية للماء.

أما الأواني الفضية التي ترجع إلى فجر الإسلام فمعظمها صحون عليها مناظر صيد ورسوم، وصلتنا من الأمم التي دخلت الإسلام.

وفي مصر توجد نفائس من هذه التحف المعدنية، حدثنا عنها المقرئ ولا يزال بعضها موجوداً في متاحف القاهرة مثل الشمعدانات المطعمة بالمينا والمحلاة بالخطوط العربية. ونجد في هذه المتاحف صحون من النحاس وصينيات عليها رسوم أسماك، ونصوص كتابية ولم تخلو بعض التحف المعدنية من تطعيمها بالذهب أيضاً.

كانت المرايا في العصور القديمة تصنع من المعدن المصقول اللامع ولاسيما من البرونز أو النحاس أو الفضة، ثم ظهرت المرايا الزجاجية في العصور الوسطى وكانت المرايا المعدنية القديمة صغيرة مستديرة أو بيضوية الشكل ولها مقابض تمسك بها اليد، وقد تأثر صنع المرايا في أوروبا بمشكلاتها في الشرق العربي في بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

لقد وصل أسلوب التكفيت بالمعادن المختلفة إلى درجة عالية من الإتقان إذ استخدم جنباً إلى جنب مع الأساليب الزخرفية التقليدية من حفر وحز ونقش، وفي القرن السادس للهجرة استخدم تكفيت القطع البرونزية بكل من النحاس الأحمر والفضة معاً حيث أحدث تأثيراً لونياً رائعاً. وقد استعملت طريقة التكفيت بمعدنين مغايرين في اللون.

نشأت في تاريخ صناعة التحف المعدنية بعض المصطلحات الزخرفية التي أصبحت فيما بعد من أكثر السمات المميزة للمشغولات المعدنية الإسلامية، وشاع استخدامها في كافة أنحاء العالم الإسلامي إلى وقت متأخر مع إدخال بعض التعديلات الثانوية البسيطة والتعبيرات الفنية التي كانت تميز قطراً إسلامياً عن آخر.

الخشيب

من قال أن الخشب لا يطاوع الإنسان، إنه بيد الفنان
العبقري مثل الطين، يسويه كيفما شاء، إن تلك التحف
الخشبية إنما ترتفع إلى مستوى القمة في الدقة والتناظرات
الصعبة المحسوبة في دقة كل إزميل.

الخشب:

من الجذوع والأغصان وحتى الجذور، تعطي الشجرة للإنسان عطاءها من غير منة، وتمنحه نفسها هبة من غير حدود أو شروط.

فمن الخشب يصنع الإنسان، لنفسه ولييته، ألف شيء من اللوح البسيط وحتى التحف الغالية. وفي تاريخ الفن الإسلامي أصبحت صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة، وفي فجر الإسلام، كانت هذه الصنعة متأثرة بما وجده المسلمون من هذا الفن، حتى تطورت صنعة الحفر على الخشب تطوراً تدريجياً وقد نتج عن هذا التطور فن قائم بذاته. ووصلت إلينا بعض أمثلة من التحف الخشبية تعود للعصرين الأموي والعباسي، ومن المسجد الأقصى والمسجد الأموي بدمشق.

وجاء تقليد الزخارف الخشبية للأبواب والشبابيك في كثير من العمائر الإسلامية تقليداً للزخارف الجصية أو زخارف المخطوطات، وتبدو في الزخارف الخشبية الدقة والمهارة الفنية في أوجها في الشبابيك والأبواب والمنابر والتي ظهرت عليها الرسوم الهندسية ذات الحشوات الغنية والمتداخلة.

ظهر الحفر على الخشب في العراق ومصر والشام، وتعود قطع خشبية نفيسة إلى القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة، إذ تتداخل الزخارف بالخطوط الكوفية مع تفرعاتها النباتية والتي تتشبه صوراً لطيور وحيوانات وأوراق عنب وعناقيد.

ظهرت الأعمال الخشبية في دقتها المتناهية في المقاصير والمحاريب ذات الخشب المشبك والتي كانت تحلّى كتابتها بأشرطة من الكتابة الكوفية المورقة على أرضية من الفروع النباتية.

وقد ازدهرت صناعة التحف الخشبية في العصور المتأخرة حيث تطور إبداع الزخارف ذات الفروع النباتية المحفورة حفراً عميقاً في أسلوب فني هو امتداد للأساليب العباسية في الحفر على الخشب وإدخال رسوم الحيوانات والطيور.

وكانت القصور تحلّى بزخارف الخشب وخاصة السقوف التي كانت تعمل بشكل هندسي دقيق من الأشكال المثلثة والسداسية التي تضم نجومياً ومعينات.

ومن أهم المنتجات الخشبية الإسلامية شبايك الأضرحة، وتكون، في العادة، محتوية على آيات من القرآن الكريم. بخطوط مختلفة، وكذلك الكراسي والدكات، وازدهرت أساليب أخرى مغايرة للخشب الأصلي يكون أغلى ثمناً مثل خشب الساج والأبنوس، وربما طعمت التحف الخشبية بالعظم والعاج، وقد تجمع هذه الحشوات على شكل أطباق نجمية.

واستعمل الخشب في إنشاء السقوف في العصر الإسلامي، وعرف النجارون أساليب مختلفة في هذا المضمار، أقدمها ما كان يستعمل من أفلاق النخيل، وقد بنيت أولى الأبنية في الإسلام وأقدمها (مسجد الرسول في المدينة مثلاً) من جذوع النخل، وتطور الحال وأصبحت أفلاق النخل تكسى أوجهها بألواح من الخشب وفي العصور المتأخرة دخلت الزخارف عنصراً جديداً تتداخل مع المقرنصات والرسوم المنقوشة أو المحفورة.

وفي مصر انتشرت وازدهرت صناعة المشربيات الخشبية وكانت تتخذ في واجهات البيوت، لتلطيف النور وإدخال النسيم العليل وتمكين أهل الدار من رؤية من بالداخل دون أن يراهم أحد، وقد بذل الفنان العربي جهداً وفناً لا مثيل لهما في إنجاز تلك المشربيات والشبايك.

أما الحفر على الخشب في الأندلس والمغرب، فكانت تقليداً للأساليب الفنية التي عرفها المصريون والعراقيون والشاميون وخاصة في التحف الخشبية دقيقة الصنع.

الزجاج والبللور

هو الصفاء والنقاء، ورد ذكره في القرآن الكريم
مقترناً بالنور والضوء، وبالجمال أيضاً... يخزن اللون،
ويعكس الطيف، جماله برقته ورهافته، ولكنه، إذا انكسر،
فلا يعاد له سبكٌ.

الزجاج والبلور:

اهتم العرب بالبلور لصلابته ولطافة منظره واتخذوا منه آنية للشرب إذ اعتقدوا أن للشرب فيها فوائد صحيّة، ومن أنواعه الصخري المشهور بالنقاوة، وتشتهر مدينة النجف في العراق بنوع من البلور صاف تصنع منه الخواتم والآنية ويطلق عليه اسم (در النجف) ومنه ما كانت تصنع المصابيح المعروفة بالثريا كما صنعوا منه نظارات العميون، وفي مصر تسمى الثريات بـ «النجف» ربما نسبة لمدينة النجف (مرقد الإمام عليّ «رضي الله عنه».

ولصناعة الزجاج صلة بالتاريخ القديم، إذ تدل التنقيبات الأثرية في مدن العراق القديمة على نماذج متنوعة من الزجاج في جملة أماكن، وقد احتفظ المتحف الوطني العراقي، وكذلك متاحف العالم بالكثير منها. ومن هذه النماذج أواني زجاج تضم أنواع الزهريات والقناني والأكواب والمصابيح والأباريق وزجاجات الزينة؛ وهذه الأخيرة كانت تتخذ لحفظ العطور وهي صغيرة رقيقة ذات شكل منشوري مزينة بنقوش كثيرة.

يقول المتخصصون: أن زجاجات الزينة كانت تصنع من الزجاج المختلط بالرصاص لتكسب لوناً مائلاً إلى الزرقة والخضرة، ومن هذه النماذج يوجد الكثير في بناية القصر العباسي في بغداد وفي متحف الآثار العربية في خان مرجان.

لقد عنى العراقيون والمصريون بصناعة الزجاج عناية كبيرة وكانت معاملته منتشرة في بغداد وسامراء والقادسيّة والقاهرة، التي أنتجت أجمل الأعمال الزجاجية كالمشكاوات والنجفات المتميزة برسومها ذات البريق المعدني وألوان المينا، كما احتوت على كتابات بخطوط مختلفة وأبيات من الشعر العربي بألوان، منها الذهبي والأبيض والأزرق والأحمر والأخضر... كما وصلت إلينا نماذج من الزجاج ذوات تصاوير ورسوم احتوتها الأقداح والأواني والمصابيح.

كان لبعض الخلفاء هواية خاصة بجمع الزجاجيات ومصنوعات البلور منهم الراضي بالله العباسي الذي قال عنه أحد المؤرخين «ما رأيت البلور عند ملك أكثر منه

عند الراضي ولا عمل ملك منه ما عمل ولا بذل في أثمانه ما بذل حتى اجتمع منه له ما لم يجتمع للملك قط ...».

ومما ذكر عن الخلفاء أن المعتصم (الخليفة العباسي) غداة بنى سامراء استقدم من البصرة العمال المهرة لعمل الزجاج وبصورة عامة كانت قصور الخلفاء والأمراء في مصر والعراق والشام تحتوي على الكثير من مصنوعات الزجاج والبلور باعتبارها من أدوات الترف والزينة.

يستعمل البلور والزجاج في الوقت الحاضر في العتبات المقدسة وتعمل منه الزخارف التي تغطي سقوف القباب من الداخل بشكل مقرنصات أو مضلعات وأشكال هندسية في غاية الروعة ناهيك عما يشاهده الرائي من أنواع الدرر والثريات التي تبهج النظر وتخلب اللب.

كانت القطع التي وصلت إلينا من القرنين الثامن والتاسع (الميلاديين) إما خالية من الزخرفة أو مزخرفة، وقد وصلت إلينا أقراص زجاجية للوزن أو الكيل، وكان الصناعات يشكلون الزجاج بنفخة في قالبين الواحد بعد الآخر.

وصلت صناعة الزجاج إلي قمته في العراق ومصر وسوريا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وابتكروا أباريق وكؤوساً وقناني أضافوا إليها البريق المعدني الذهبي أو الفضي، وزخرفوها بزخارف هندسية أو نباتية أو حيوانية.

ومن مصر وصلتنا أواني من الزجاج السميك الثقيل ذي الزخارف المقطوعة أو المضغوطة، والبلور الصخري يوجد في باطن الأرض، ويعد ضمن أنواع الأحجار الكريمة، ومن نفس المواد التي تعمل منها الأواني، ومن أشهر التحف المصنوعة من هذه المادة إبريق على هيئة الكمرى عليه اسم الخليفة المعز بالله.

وتعد المشكاوات الزجاجية الموهبة بالمينا في العصر المملوكي في مصر وسوريا، وقد أقبل الأمراء والسلاطين على اقتنائها وتزيين المساجد بها، المزينة بالزخارف والكتابات، ومن جملة المشكاوات الزجاجية المجموعة المنسوبة إلى مسجد السلطان حسن بالقاهرة.

العاج

شبهت به الحسناء، وشبّه هو بالحسناء، كان ولا يزال
رمزاً للبهاء والرقى والجمال ... هو بين هذا وذاك، ليس
هو بخفوت الطين أو بريق المعدن.

العاج:

عشر المتقنون عن الآثار في العديد من المناطق الإسلامية على تحف من العاج ذي العظم، أو من الخشب المطعم بهاتين المادتين، وترجع بعض هذه التحف إلى فجر الإسلام وإلى العصرين الأموي والعباسي.

كانت التحف العاجية بسيطة لكنها تطورت فأدخلت عليها الزخارف والنقوش، ثم أخذت تطعم بالحشوات من عاج مغاير على أشكال من الزخارف النباتية أو الهندسية أو من معينات ومربعات ودوائر قريبة الشبه والصلة بالزخارف التي عرفناها في الخشب.

ما وصلنا من تحف عاجية من فجر الإسلام قليلة، لكن هذه الصناعة ازدهرت بمصر، لأنها كانت من الصناعات المعروفة فيها منذ العصور القديمة.

إن أكثر التحف العاجية الإسلامية، تتمثل في العلب والصناديق التي وصلت من الأندلس ويرجع معظمها إلى القرن الرابع الهجري أو بداية الخامس، وما يزيد من أهميتها أن معظمها مؤرخ وعليه كتابات تسجل اسم من صنعت لأجله، وبعض هذه التحف علب اسطوانية الشكل ذات أغطية مقببة أو مستوية، وبعضها مستطيل أو هرمي الشكل، أما زخارفها، فتكون محفورة حفرًا قليل البروز، لكنه واضح كل الوضوح.

من التحف العاجية ما يحتوي على رسوم نباتية، معظمها تضم كتابات بالخط الكوفي المورق وفيه رسوم آدمية ورسوم طيور وحيوانات داخل مناطق مستديرة، وتتألف الزخرفة النباتية من فروع نباتية تتجمع حول سيقان من الأغصان، ثم نرى صور الطواويس يلتف عنق كل منها على عنق طاووس آخر.

ومن الموضوعات الزخرفية المألوفة في التحف العاجية العربية مناظر الطرب والصيد والشراب، وأما الحيوانات والطيور المرسومة عليها فمنها الأسد والغزال والفهد والفيل والطاووس. لكن تلك الرسوم تنقصها الحركة والحياة بعكس ما نجده في الرسوم على الورق في المخطوطات أو قطع الفسيفساء.

والحق أن ما نراه من هذه التحف العاجية من دقة ومهارة وإتقان تدعونا إلى الإعجاب، وخاصة تلك التي تحتوي على أساليب التطعيم والترصيع والخشوات. استعمل العاج لصناعة الأبواق والصناديق والمحابر، وقطع ورقع الشطرنج، ونذكر أن هارون الرشيد قد أهدى شارلمان رقعة شطرنج نفيسة من العاج. التحف العاجية تقدم نمطاً خاصاً من الإبداع العربي في الفنون التطبيقية، ذلك لأنها بحكم طبيعة هذه المادة قد اعتمدت على النحت والتحوير، وكان العاج هذه المادة الخجلى والرقيقة الملساء، لم تكن عصية على يد الفنان المسلم، فقد طوعته واستسلمت له، فأخرجها حلياً، وقلائد ومسابع يذكر فيها اسم الله.

المنسوجات والسجاد

ارتبط ذكره بالعبقريّة، والإجادة، واقتنرت إجادته
بالصبر والإبداع، لون يلتقي عند لون، ومثلما يلتقي
الطيب بالواقع والحلم بالحقيقة. خيط عند خيط ، ونسج
لحدائق وأعناب وغصون.

المنسوجات:

كانت المنسوجات في أوائل العصر الإسلامي تصنع وفقاً للأساليب والطرز التي كانت متبعة في صناعة النسيج عند الأمم الأخرى غير أن أسلوباً أصيلاً خالصاً أخذ ينمو تدريجياً ويتطور، ويسود جميع البلدان الإسلامية.

كانت مراكز صناعة المنسوجات الراقية تتخذ مكانها في العراق (مدينة الموصل) والشام والفسطاط بمصر وكانت دور الطرز من الدور التي تعنى بها الدولة، والطرز هي الأشرطة، مفردها شريط زخرفي أو كتابي، منسوج أو مطرز يمتد على أطراف القطعة المنسوجة يكتب عليه بأنواع الخطوط أسماء الخلفاء وأبيات من الشعر.

كانت زخارف السجاد الإسلامي المبكر متأثراً بمثيله في الأمم المجاورة وبمرور الزمن تم الاستغناء تدريجياً عن الرسوم الآدمية بالزخارف الهندسية والكتابية والنباتية، وإدخال صور الطيور والحيوانات. وكانت الأقمشة التي أنتجت في العصر العباسي ذات زخارف منسوجة متعددة الألوان من الصوف والكتان، ثم أنتجت أقمشة ذات زخارف منسوجة ومطرزة بالحرير.

وفي الشام، زادت العناية بالمنسوجات الحريرية، وابتكروا أسلوباً لزخرفتها بالزخارف المطبوعة، فكانت الزخارف ترسم بالقلم المبسط بالألوان متعددة يشوبها التذهيب، بخيوط من الذهب.

وقد كان للنسيج الإسلامي شهرة عالمية في القرون الوسطى، ولا تزال بعض قطع النسيج الإسلامي محفوظة ضمن كنوز المتاحف العالمية، والتي لا تزال تسمى بأسمائها العربية من ذلك «الدامسقي» من دمشق و«الموسلين» من الموصل، والعنابي نسبة إلى حي العنابية في بغداد. وقد وصلت إلينا أقمشة طرّز عليها أسماء هارون الرشيد والأمين والمأمون والمقتدر بالله، نسجت بالخط الكوفي المورق، ونسجت على مثلها أسماء خلفاء مصر.

كانت ألوان القماش الإسلامي جميلة براءة وخاصة تلك الموشاة بقصب الذهب والفضة.

السجاد :

كانت صناعة السجاد معروفة في العالم الإسلامي منذ القرن الأول الهجري، وقد عثر على قطع عتيقة منها، سجلّ على واحدة منها سنة (١٠٢هـ).

والمعروف أن صناعة السجاد كانت متقدمة بمصر وتطورت هذه الصناعة فيها على مدى العصور وبلغت ذروتها في العصور المتأخرة، وكان فيها نوع فاخر يسمى «القلمون» ولكن مدن الشرق اشتهرت أكثر من غيرها بهذه الصناعة.

كانت معظم الأنواع الفاخرة من السجاد تعقد من الحرير ويعقد البعض من الصوف، ومنها أنواع منسوجة من الحرير وأخرى اندمجت فيها أو طرزت بها خيوط الذهب والفضة.

واشتهرت هذه الأنواع بجودة الصنعة ودقتها، وتميّزت باختلاف زخارفها، ومنها نوع تتوسط السجادة فيه جامة كبرى (والجامة شكل زخرفي نباتي أو هندسي) ويحتل كل ركن من أركانها ربع جامة، ويحيط بها إطار عريض، وتنتشر عليها الأزهار بين تفرّيعات نباتية، تجري حولها رسوم الحيوانات ومناظر الصيد، وقد تنسج عليها آيات قرآنية. ويحتفظ متحف «فيتا» بسجادة رائعة من هذا النوع يرجع تاريخها إلى منتصف القرن السادس عشر، صنعت من الحرير المختلط بخيوط الذهب، المتنوع الألوان من أزرق وأخضر وبرتقالي وأصفر، رسمت على أرضية وردية حمراء أشكال الفرسان ومناظر الصيد في غمرة من الأشجار والأزهار والنباتات.

وشهرة السجاد الشرقي ذائعة في دول أوروبا منذ العصور الوسطى، وكانت جدران قاعات الاستقبال في قصور الملوك والأمراء ملئى بالأنواع الفاخرة منها. وقد وصف شعراء أوروبا ومنهم الشاعر الألماني جوته سحر السجاد الشرقي وجماله، ومن السجاد كذلك نوع يمتاز بأشكال الحدائق الغناء، فيها الجداول والنافورات، وتتخللها الطيور والحيوانات.

وازدهرت صناعة السجاد في بلاد الأناضول منذ القرن السادس عشر الميلادي - فيما اشتهرت به - بسجاجيد الصلاة المزودة بأشكال الأزهار والنباتات الزاهية

الألوان، كما اشتهرت بنوع من السجاد تقوم زخارفه على تربيعات هندسية تنتشر فيها وحولها أنواع من الزخارف النباتية، وتمتاز سجاجيد الصلاة بأشكال المحاريب التي تتوسطها أو تحدها الزخارف التي تغمرها الوريدات والأزهار.

وقد تأثرت صناعة السجاد في بلاد المغرب في العصور الحديثة بالتمازج الشرقية والمتأثرة أيضاً بالتمازج الأندلسية، التي كادت تختفي معظم تحفها الأصلية، مما يتعذر معه إيضاح مميزاتهما. ومن المؤكد أن صناعة السجاد كانت مزدهرة في الأندلس وفي بلاد المغرب منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، بل من قبل ذلك التاريخ.